# يا سيدة البحار (١)

( جاءت الاخبار التلغرافية منبئة بان الحكومة الالمانية مسؤولة عما اصاب الباخرة لوزيتانيا والذين كانوا فيها لان شركة كنرد صاحبتها قبعثت الينا الآنسة النابغة ماري زيادة ( مي ) بالتأبين التالي وكانت قد كتبتهُ يوم اغراقها سنة ١٩١٥ ثم وعدت بان تشفعهُ بتأبين الاسطول الالماني العظيم )

أسمعت ما طيرتهُ عنك البروقُ وما قالتهُ فيك الانباء ؟ لوزيتانيا ! أبلغك ما بلغنا وتعرّفت ما يكتبون ؟

قولي : هل تعرّدت رواح الكهرباء في الفضاء وثارت قوات العناصر في أعماق السماء ، أم هجمت أسدُ البحر على الاسلاك الممدودة تحت الماء طالبةً من معارف البشر لداءٍ خفيّ شافي الدواء ؟

قولي ! أسمعت بما أذاعتهُ عنك الانباء ؟

لوزيتانيا ، أجيبي ! أنت التي خضعت لها رقاب الامواج اعواماً ، ولثمت المياه قدمها شهوراً واياماً ، أنت التي ذاب لحرّ أنفاسها جليد البحار القاصيات ، وابتسمت لقدومها شموس السواحل الدانيات ، أيتها الطائرة بهيجان العواصف وثورات اللجج وغضب البراكين ، يا صلة العمران النبيلة بين العالمين ، لوزيتانيا !

يقال انك غارقة ، يا ذات الدلال السائر ، ويذاع انك هابطة ، يا قاهرة المتعمر القاهر . أصحيحٌ ما يقولون وما هم مذيعون ؟ أتقعين صريعة نيران الجبّار العنيد ؟ أتتضاءل منك القوى ازاء بطشهِ فيذوبُ منك حتى صلب الحديد ؟

أنت التي قصمت لمسافات الشاسعات بسالة باسمة ، وملأت وحشة البحار الواسعات زفرات الحياة وأصواتها ، أنت الآملة بكل شيء لانك يائسة من كل شيء ، أيتها المرأة المتسمرة ، كيف لم تحجبي على صواعق الانسان بصواعقك المنتقمة ؟

لوزيتانيا ! لوزيتانيا !

ألا تذكرين يوم غادرت العالم الجديد تحملين للاجسام نعاماً وتنقلين للنفوس

(١) بنيت الوزيتانيا لشركة كنرد البريطانية سنة ١٩٠٧ بمدينة غلاسكو من الصلب ( الفولاذ ) وكان طولها ٧٩٢ قدماً وعرضها ٨٧ قدماً وعمقها ٥٦ قدماً وحمولتها ٤٢ الف طن وسرعتها ٢٦ ميلاً بحرياً في الساعة وقوة آلاتها البخارية سبعون الف حصان

غذاء ، وتمثال الحرية يحييك بقبسه المحيي ويتمنى لك سفراً سعيداً ؟ يوم شيعتك أنظارٌ وقلوبٌ وقد أودعتك أموالاً واسراراً وارواحاً غاليات ، ألا تذكرين ؟ كيف لم تصوني وديعتك سائرة بها الى مرفإ الامان سالمة ؟ كيف لم تحرصي على ما ضممت الى قلبك ، أيتها العاشقة الصامتة ؟

لوزيتانيا ! لوزيتانيا ! لقد ذقت رعشة الموت ، يا ضحية الحياة ! وعرفت طعم الابدية ، يا اثر الفكر الزمني !

في احضان المياه الدامسة حيثُ لا شموس ولا كواكب ولا انوار ، حيث يتموّج في الهاوية من العناصر الاسوداد والاخضرار . حيث لا يركز سوى دمدمة العواصف الهائجة على صفحة الماء ، ولا صوت غير صدى الصواعق المنبثقة من جبين الأفق على وجنة الغبراء ، حيث تمرُّ افكار البشر على الاسلاك البحرية صامتة ، حيث لا كلام ، ولا انين ، ولا نواح ، ولا انشاد ،

في احضان المياه الغُدافية ، في الهاوية المرعبة ، هناك تندثرين ،

تندثرين في كهوف نبتون (١) السائلة ، وفيها تقطنين ،

هناك تضمين اليكِ وديعتكِ التي لم تستطيعي صيانتها في الحياة فتكونين في الردى لها من الصائنين

هل من دمعة تصل اليكِ مخترقةً مياه البحار ؟ هل من قبلة تهبطُ نحوكِ مداعبةً ما لديكِ من الاسرار ؟ لكن قد كفنتك السكوتُ الدائم والجمودَ المتحرّك الذي لا قبلات لديه ، ولا دعابة ولا عبرات ؟

لوزيتانيا ! لوزيتانيا !

سوف ينتقم لكِ البشر من البشر ، سوف يقيم التاريخُ لكِ ولاخواتكِ هياكل تحيين فيها كالاهات ، سوف تنظمُ لكِ الاناشيد وتعزفُ لذكركِ طروبُ الآلاتُ ،

لوزيتانيا ؟ لوزيتانيا !

واذا سئلت في اعماق الهاوية عن الانسان الذي أبدعكِ واستخدمكِ قولي ان مقاصدهُ شريفة وآمالهُ عظيمة ، قولي انهُ أحبكِ وبكاكِ . واذا سألتكِ ارواح العناصر مذهولةً : اذاً كيف فتكَ بك ؟ أجيبي ان الذي قضى عليكِ ليس التحالف الملقب بالانساني ، بل الجبير المتعوت بالجرماني

(مي)

(١) نبتون هو اله البحر في ميثولوجية الاقدمين